محكم

خطيئة آدم وحواء

بين التصوّر المسيحي والتصوّر الإسلامي

حفيظ اسليماني

باحث مغربي



قسم الدراسات الدينية

ملخّص الدراسة:

من خلال قراءتنا للقرآن الكريم تستوقفنا قصّة آدم وحواء المتمثّلة في ارتكابهما معصية في حق الله سبحانه وتعالى؛ وذلك بعد أكلهما من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، وجاءت هذه المعصية بعد وسوسة الشيطان لهما. إلاّ أنّه بالرجوع إلى التوراة نجد القصّة نفسها أي أنّ آدم وحواء عصيا الله، إلاّ أنّها تختلف عما جاء في القرآن الكريم.

وقد قمت في هذا البحث بدراسة نصّ سفر التكوين الخاص بخطيئة آدم وحواء دراسة علميّة رصينة عبر تحليل فقرات القصّة ومناقشتها، وذلك انطلاقا من مصادر ومراجع مسيحيّة لأخلص في النهاية إلى وجود تضارب بعض فقرات النصّ حسب الترجمات، أضف إلى ذلك التعسّف في تفسير النصّ. وتطرّقتُ بعد ذلك إلى النصّ القرآني، وتبيّن بعد دراسة آيات القصّة أنّ القرآن الكريم كان أكثر دقّة في تناول قصة معصية آدم وحواء وسردها، ولا وجود لأيّ تناقض أو غموض فيه بخلاف النصّ التوراتي.

مقدمة:

وردت قصّة خطيئة آدم وحواء في التوراة والقرآن والكريم؛ وتتمثّل هذه الخطيئة في أنّه لمّا خلق الله آدم وحواء ووضعهما في الجنّة نهاهما عن الأكل من شجرة واحدة، إلاّ أنّهما لم يلتزما بذلك، وهذه الخطيئة موضع خلاف بين النصّ التوراتي والنصّ القرآني؛ إذا تروي التوراة أنّ السبب في هذه الخطيئة هو الحيّة التي أغوت حواء وهي (أي حواء) بدورها أغوت آدم وترتّب على هذا في المعتقد المسيحي أنّ الجنس البشري كلّه يحمل الخطيئة بحكم الاعتقاد أنّها خطيئة متوارثة. أما القرآن الكريم، فقد جاء مؤكّداً أنّ الشيطان هو الذي أغوى آدم وحواء وليس الحيّة، كما أكّد القرآن أيضا أنّ آدم تلقّى كلمات من الله فتاب عليه.

الخطيئة في التصوّر المسيحي:

نظرا لكون النصّ الخاصّ بالخطيئة طويلا شيئا ما، أحببت أن أتناول كلّ جزء منه بما لا يخلّ بالسياق، مستعرضا التصوّر المسيحي للنص ثم مناقشته؛ وذلك لأنّ نصّ الخطيئة فيه الكثير من الأمور التي تحتاج إلى تفصيل.

يقول سفر التكوين عن آدم لما وضعه الله في الجنّة: "وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جنّة عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا. 16 وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجنّة تَأْكُلُ أَكْلاً 17 وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ".[1] لكن آدم وحواء خالفا وصية الله فأكلا من الشجرة المنهيّ عنها. لكن من كان السبب في ذلك؟.

إنّ السبب الذي دفع آدم وحواء إلى الأكل من الشجرة هو: الحيّة، وهناك من يرى أنّ الشيطان تخفّى فيها أي "دخل الشيطان في الحيّة فصار لها ذكاء وحكمة أكثر من كلّ الحيوانات التي خلقها الله؛ فجميع الحيوانات ليس لها عقل ولا قدرة على النطق ولكن استطاعت الحيّة بالشيطان الداخل فيها أن تجذب الإنسان بالحكمة الشرّيرة إلى الخطيئة. ويبدو أنّ الإنسان قد لاحظ هذه الحكمة ولم يرفضها، بل قد يكون قد أعجب بها فقبل الحديث مع الحيّة مع أنّه كان يحيا مع الله في شبع روحي ولا يحتاج إلى حكمة أخرى أو ذكاء يناله من أيّ مخلوق آخر".[2]

---

[1]- سفر التكوين 2/15-17

[2]- **الموسوعة الكنسيّة لتفسير العهد القديم، سفر التكوين**، إعداد كهنة وخدّام كنيسة مار مرقص بمصر الجديدة، الناشر: كنيسة مار مرقص القبطية الأرثوذكسية بمصر الجديدة، ط1مارس 2006، ص 41

فالقول بأنّ الحيّة بعد دخول الشيطان فيها صار لها ذكاء هو تفسير بعيد عن النص، لأنّ سفر التكوين يذكر أنّ الحيّة أصلا ذات حيلة بقوله: "وَكَانَتِ الْحيّة أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبّ".[3] فالله خلقها منذ البداية أحيل حيوانات الأرض وليس بعد أن دخل فيها الشيطان، وبالتالي فالموسوعة تقَوِّل النصّ ما لم يقله.

وصاحب السنن القويم يرفض ذلك، أي دخول الشيطان الحيّة بقوله: "وهل كانت هذه الحيّة حيّة حقيقيّة استخدمها الشيطان أو كان الشيطان نفسه ظهر بصورة حيّة، وهل تكلّمت حقيقة أم لا وهل الكلام مجاز وتمثيل ذلك لا نعلمه وترك الجواب على هذه المسائل خير من إتيانه ما لم نقف على ما يدل على اليقين.[4] هذا المفسر يقول غير ما تقوله الموسوعة الكنسيّة؛ إذ يرى أنّ البحث عن علاقة الشيطان والحيّة وكذلك الكلام بين الحيّة وحواء هو ممّا لا يعلمه وأنّ ترك الجواب عن ذلك خير من إتيانه.

الحاصل إذن، أنّ الحيّة أغوت حواء بعد أن أقنعتها بأنّهما لن يموتا، وإنّما سيكونان مثل الله عارفين الخير والشرّ. تقول الحيّة: "فَقَالَتِ الْحيّة لِلْمَرْأَةِ: لَنْ تَمُوتَا! 5 بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. فما من حواء بعد أن رأت الشجرة شهيّة أن أكلت وأعطت آدم فانفتحت أعينهما وعلما أنّهما عريانان. يقول النص: "فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضاً مَعَهَا فَأَكَلَ. فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ".[5]

ولا بدّ من وقفة هنا مع النص. يقول جرجس: "فانفتحت أعينهما أي أنّ عيني الضمير والذهن انفتحتا ليشعرا بالحلال الذي وصلا إليه"[6]. وهنا نوع من التهرّب من تفسير انفتاح الأعين بالأعين الطبيعيّة، بل ربط ذلك بعينَيْ الضمير والذهن، والأمر نفسه ذهب إليه صاحب السنن القويم إذ يقول: "فَٱنْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا أي شعرا بمعصيتهما على أثر أكلهما من الثمرة التي نهاهما الله عن الأكل منها".[7]

[3]- سفر التكوين 1/3

[4]- القس وليم مارش، **السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين**، صدر عن مجمع كنائس الشرق الأدنى بيروت 1973، ص 38

[5]- سفر التكوين 3/4-7

[6]- **تفسير سفر التكوين**، نجيب جرجس، ص 102

[7]- **السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين**، مرجع سابق، ص 39

إلاّ أنّ جرجس لم يفلح في تهرّبه إذ يعود فيقول: "وعد الشيطان حواء بأنّه بأكلهما من الشجرة تنفتح أعينهما ويصيران مثل الله، وقد انفتحت أعينهما بالفعل، لا ليصيرا مثل الله، ولكن للأسف ليريا أنفسهما في حالة يرثى لها ليرى عريهما وخزيهما وخجلهما، وهكذا الخطية لا يجزي الإنسان من ورائها إلا الخزي والعار".[8]

فهل فعلا كان آدم وحواء قبل أكلهما من الشجرة لا يبصران؟.

يرد عليهم العلامة الباجي قائلا: "كيف يحسن أن يقال: فأكلا فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان؟ أفكانا أعميَيْن قبل الأكل؟ أو منطبقي الأعين؟ مع قوله قبل هذا: ورأت المرأة الشجرة جيدة للأكل، وأنّها بهجة للعيون وأنّها شهية للنظر، فأين هذا وذاك؟".[9]

فقول الحيّة إذن أنّه: "يوم تأكلان تنفتح أعينكما" هو قول مضطرب وذلك نظرا لتناقض النصوص فيما بينها، فحواء رأت الشجرة شهيّة للأكل وجميلة المنظر قبل الأكل وبالتالي فالقول "بعد الأكل انفتحت أعينهما" لا معنى له.

ثم قوله: "وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ". وهنا يطرح السؤال فهل الله ينهى عن معرفة الخير والشر؟ طبعا لا؛ فمعرفة الإنسان للخير والشرّ سيجعله يختار ما هو أحسن، وهو الخير. أضف إلى أنّ النصّ في حد ذاته مشكلة، إذ ورد في بعض الترجمات بصيغة أخرى وسأثبت النصّ على شكل صور كي لا يقول المسيحيّون إنّ المسلمين يحرّفون النص:

- ترجمة رجاد واطس[10]:

ه منها ولا تقربها ليلا نموت *فقالت الحية للمراة لن تموتا *لان الله
عالم ان في اي يوم تاكلا منها تنفتح عيونكما وتكونا كالالهة تعرفان الخير
والشر *فرات المراة ان الشجرة طيبة الماكل وجميلة للعيون وشهية للنظر

8- تفسير سفر التكوين، مرجع سابق، ص ص 102-103

9- **على التوراة**، علاء الدين الباجي، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار الأنصار للطباعة والنشر مصر، ط1، 1980، ص 33

10- **الكتاب المقدس**، طبعة رجارد واطس لندن 1826

- العهد القديم عبري – عربي[11]:

לֹא־מוֹת תְּמֻתוּן׃ 5 כִּי יֹדֵעַ אֱלֹהִים כִּי בְּיוֹם אֲכָלְכֶם מִמֶּנּוּ וְנִפְקְחוּ עֵינֵיכֶם
لا موتًا تموتان لأنّ عارف الله أنّ في يوم أكلكما منها فتتفتّح أعينكما
וִהְיִיתֶם כֵּאלֹהִים יֹדְעֵי טוֹב וָרָע׃ 6 וַתֵּרֶא הָאִשָּׁה כִּי טוֹב הָעֵץ לְמַאֲכָל וְכִי
وتصيران كآلهة عارفي خير وشرّ ورأت المرأة أنّ صالحة الشجرة للأكل وأنّ
תַאֲוָה־הוּא לָעֵינַיִם וְנֶחְמָד הָעֵץ לְהַשְׂכִּיל וַתִּקַּח מִפִּרְיוֹ וַתֹּאכַל וַתִּתֵּן
بهجة هي للعينين ومشتهاة الشجرة للإفطان فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت

- ترجمة 1671[12]:

ليلّا تموت. * فقالت الحيّة للامراة لن تموتا. * لانّ ٤
الله عالم ان في اي يوم تاكلا منها تنفتح ٥
عيونكما وتكونا كالالهة تعرفان الخير والشرّ. * ٦
فرآت الامراة ان الشجرة طيّبة الماكل وشهية

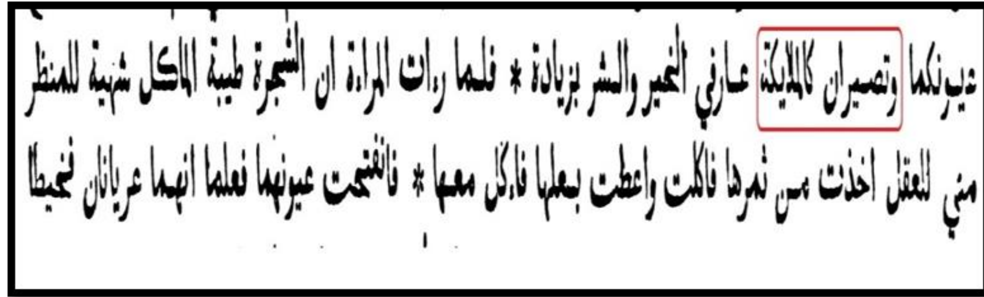
- الترجمة اليسوعية[13]:

تأكلا مِنه ولا تَمَسَّاه كَيلا تَموتا». ⁴فقالتِ
الحَيَّةُ لِلمَرأَة: «موتًا لا تَموتان، ⁵فاللهُ عالِمٌ
أَنَّكُما في يَومِ تأكُلانِ مِنه تَنفَتِحُ أَعيُنُكُما وتَصيران
كآلِهَةٍ تَعرِفانِ الخَيرَ والشَّرّ». ⁶ورَأَتِ المَرأَةُ أَنَّ
الشَّجَرَةَ طَيِّبَةٌ لِلأَكل ومُتعَةٌ لِلعُيون وأَنَّ الشَّجَرَةَ

[11] - **العهد القديم العبري: ترجمة بين السطور عبري عربي**، الأبوان بولس الفغالي وأنطوان عوكر، الجامعة الأنطونية ط1، 2007
[12] - **الكتب المقدسة**، طبعة روما 1671
[13] - **الكتاب المقدس** – الترجمة اليسوعية- دار المشرق بيروت لبنان، ط3، 1988

هذه الترجمات السالفة الذكر كما هو واضح من النصّ المصوّر جاء فيها النصّ يقول: "وتصيران مثل الآلهة". ويعني هذا أنّه ليس هناك إله واحد بل مجموعة من الآلهة، وآدم نهاه الإله يهوه ولم تنهَه الآلهة الأخرى، وبالتالي فقول الحيّة: "تصيران مثل الآلهة" لا يستقيم. خصوصا وأنّ آدم وحواء كانا يعرفان إلها واحدا في الجنّة، وعليه فقول الحيّة "تصيران مثل الآلهة" يحتّم على حواء الردّ وأن تسأل عن هذه الآلهة التي لم تعرفها أصلا لا أن تستجيب للحيّة.

وهناك ترجمة أخرى - طبعة نيوكاسل بإنكلترا سنة 1811 - تخالف الترجمات السالفة الذكر تماما، وهذه صورة النصّ كما ورد في تلك الترجمة:


عيونكما وتصيران كالملايكة عارفي الخير والشر بزيادة * فلما رات المراة ان الشجرة طيبة الماكل شهية للمنظر
مني للعقل اخذت من ثمرها فاكلت واعطت بعلها فاكل معها * فانفتحت عيونهما فعلما انهما عريانان فخيطا

هكذا نجد أنّ النصّ مضطرب، فهل الأصل "تصيران مثل الله" أم "مثل الآلهة"، أم "مثل الملائكة"؟، ممّا يجعل الباحث يشكّ في الحوار الذي دار بين الحيّة وحواء نظرا لعدم وجود نص قطعي، بل بالعكس هناك تناقض في النصّ حسب ترجمات الكتاب المقدّس. والحيّة التي كانت في الجنّة ليس لدينا ما يثبت أنّها كانت تتكلّم سوى قول "الموسوعة الكنسيّة" أنّ الشيطان دخل فيها كي يغوي آدم وحواء، وهنا يطرح السؤال: لماذا لم تتفاجأ حواء من كلام الحيّة التي لم تكن سابقا تتكلم؟ لا أن تدخل معها في حوار، فهذا الأمر يجعل من حواء بليدة جدا، فهي لم تلتزم بما أوصى به الله إذ خالفت وصيّة الله وأخذت بنصيحة الحيّة، والأولى أن تكون على يقين بما أوصى به الله لا أن تمتثل لكلام الحيّة.

أنتقل، ههنا، إلى الجزء الثاني من نص الخطيئة، وهو: "وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلَـهِ مَاشِياً فِي الْجنّة عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلَهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجنّة. 9 فَنَادَى الرَّبُّ الإِلَـهُ آدَمَ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». 10 فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجنّة فَخَشِيتُ لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ».11 فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟

هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» 12 فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». 13 فَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحيّة غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ".[14]

بعد الأكل من الشجرة انْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ. تفسّر "الموسوعة الكنسية" النصّ بالقول: "عند هبوب ريح النهار التي ترمز إلى الروح القدس، فالريح والروح يأتيان تفسيرا للفظة واحدة، فالله يقترب إلى الإنسان ليملأه ويشبعه بروحه القدوس. والصوت يعني كلمة الله الذى ينادي الإنسان ويطلب خلاصه".[15] لكن هذا التفسير بعيد عن النص؛ فالنصّ يقول: "وسمعا صوت الرب الإله ماشيا" أي هو الإله وليس الروح القدس، وهذا ما يؤكده جرجس بقوله: "وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنّة أي كان الله يتجلّى لهما، ويتحدّث إليهما لشدّة حبّه لهما. وفي هذه التجلّيات الإلهية تقريب لفهم سرّ التجسّد العجيب، وفتح الأذهان البشريّة للإيمان بتأنّس ابن الله الذي كان في قصده الإلهي منذ الدهور"[16]، يعني: الإله يهوه كان يتمشّى في الجنّة وليس الروح القدس.

والتفسير نفسه ذهب إليه وليم مارش، إذ يقول: "وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنّة هذا يدل على أنّ الله كان يظهر لهما في الفردوس ويخاطبهما وإنّهما كانا في خير نعمة وقربى من ربّهما قبل أن يعصياه، ولعلّه كان يظهر لهما في هيئة ملاك عند هبوب ريح النهار، أي عند انخفاض الحرّ وأخذهما في التنزّه. فكان ربّ الجنّة يعاشرهما في ذلك الوقت المناسب للعشرة".[17]

يظهر من كلام وليم مارش، أنّه حاول ربط النصّ بملاك لكن لم يجد كيفيّة التصريح بذلك نظرا لوضوح النص، لذلك قال: "لعلّه ظهر في هيئة ملك" ثم عاد فقال: "كان ربّ الجنّة يعاشرهما". والنصّ في الحقيقة لم يقل "ملاك" بل قال "سمع صوت الربّ الإله ماشيا"، والنصّ بالعبري واضح، إذ ذكر اسم يهوه الإله:

"וַיִּשְׁמְעוּ אֶת-קוֹל יְהוָה(يهوه) אֱלֹהִים (الإله)، מִתְהַלֵּךְ בַּגָּן--לְרוּחַ הַיּוֹם؛ וַיִּתְחַבֵּא הָאָדָם וְאִשְׁתּוֹ، מִפְּנֵי יְהוָה (يهوه)אֱלֹהִים(الإله)، בְּתוֹךְ، עֵץ הַגָּן".

[14]- سفر التكوين 3/8-13

[15]- **الموسوعة الكنسيّة لتفسير سفر التكوين**، مرجع سابق، ص 44

[16]- **تفسير سفر التكوين**، مرجع سابق، ص 103

[17]- **السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين**، مرجع سابق، ص 39

وبعد سماع صوت الإله اختبأ آدم وحواء من يهوه. وسؤال يهوه آدم: "أين أنت؟" ليس معناه أنّه لا يعلم مكانه كما يفهم من ظاهر النصّ وإنّما ذلك حسب التفسير المسيحي: "سؤال يحمل معاني العتاب والتوبيخ وكأنّه لا يسأله عن مكانه بل عن حاله الذي وصل إليه".[18]

تواصل الموسوعة الكنسيّة تفسير النصّ بالقول: "أعلن آدم سبب هروبه من الله وهو خزي الخطية الذى شعر به بعد السقوط أي شعوره بالعري، وإجابته توضح فهمه أنّ الله يعرف مكانه ولكنّه يناديه للتوبة والاعتراف ولكنّه للأسف لم يفعل لانهماكه في مشاعر الخطية؛ أي الخوف والخجل. إذا أرى الله الإنسان في خجله عاجزًا عن الإقرار بخطيته، ساعده وشجعه على التوبة بسؤاله" هل أكلت من الشجرة وكسرت الوصية؟. "فالله الحنون لا يقبل توبة الخاطئ فقط، بل يشجّعه عليها. للأسف لم يعترف آدم بخطيته بل على العكس نسب الخطأ إلى حواء وبرَّر نفسه، وهو بهذا ينسب الخطأ أيضًا إلى الله لأنّه هو الذى خلق له حواء. كذلك المرأة لم تعترف بخطيتها بل نسبت الخطية إلى الحيّة التي خدعتها وهى بهذا أيضًا تنسب الخطأ إلى الله الذى خلق الحيّة".[19]

من خلال النصّ لا يظهر أنّ الله طلب من آدم التوبة، بل إنّ آدم قال الحقيقة إنّ حواء هي من أعطته، وحواء قالت إنّ الحيّة هي السبب، كما أنّه ليس في النصّ ما يثبت أنّ آدم وحواء نسبا الخطأ إلى الله. كما أنّه ليس في النصّ ما يثبت أنّ يهوه دعا آدم إلى التوبة.

العقوبات المترتّبة على الخطيئة:

أ- عقوبة الحيّة

"فَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ لِلْحيّة: «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هَذَا مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعِينَ وَتُرَاباً تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. 15 وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ".[20]

فالله لعن الحيّة وعاقبها بأن تسعى على بطنها. وبناء على هذه العقوبة يتّضح أنّ الحيّة قبل الخطيئة لم تكن تسعى على بطنها. يقول كلايد تارنر: "أمّا كيف كان شكل الحيّة قبل السقوط فهو على الراجح أمر غامض.

[18]- **تفسير سفر التكوين**، مرجع سابق، ص 103

[19]- **الموسوعة الكنسيّة لتفسير سفر التكوين**، مرجع سابق، ص 45

[20]- **سفر التكوين** 14/3-15

يصوّرها البعض مخلوقا جميلا يسير منتصبا لا زاحفا على الأرض".[21] وهذا القول خطير جدا؛ لأنّه إذا أخذنا بقولهم دخول الشيطان في الحيّة فمن العدل أن يعاقب الله الشيطان وليس الحيّة.

من عقوبات الحيّة أيضا قول يهوه: "وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ". يرى المسيحيون أنّ ذلك نبوّة عن صلب المسيح، يقول جيمس أنس: "وعد الله أبوينا الأوّلين عند سقوطهما أنّ نسل المرأة يسحق رأس الحيّة، وهو الوعد الأوّل للبشر بالفادي، بدليل شهادة الكتاب أنّ نسل المرأة المسيح، وأنّ سحق رأس الحيّة يعني انتصاره التام على الشيطان وجميع قوات الظلمة، ولذلك حُسب هذا الوعد النبوّة الأولى واعتُبِر نظير فجر ناسوت الفادي ولاهوته للبشر، لأنّ اسمه نسل المرأة يشير إلى ناسوته، وسحق رأس الحيّة يشير إلى لاهوته".[22]

صراحة هذا تعسّف واضح في ربط النصّ بالمسيح بدليل أنّ نصّ التكوين يتحدّث عن عداوة متبادلة بين نسل المرأة ونسل الحيّة، والمسيح ليس من نسل المرأة، إذ يعتبرونه إلها لدرجة أنّهم لقّبوا مريم بوالدة الإله. والمفسّر أنطونيوس فكري نفسه لا يرى النصّ نبوّة عن المسيح، إذ يقول: "صارت العداوة دائمة بين الشيطان (الحيّة) وبين الإنسان. فالحيّة دائمًا تعُضّ الإنسان في قدمه والإنسان يقتل الحيّة بضرب رأسها. ولاحظ أنّ الإنسان والحيّة كانا قد اتفقا في الشرّ والنتيجة كانت كراهية وقطيعة بينهما. فالكراهية والقطيعة مصاحبان للخطية"[23]. وتعليق بسيط على هذا القول: فالحيّة عندما تلدغ الإنسان لا تختار القدم دائما- كما ذهب إلى ذلك أنطونيوس فكري- بل تلدغ الإنسان من أيّ جزء في جسمه.

ب- **عقوبة حواء**

"وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: تَكْثِيراً أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ. بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَداً. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ"[24]. وهذه العقوبة في الحقيقية لا معنى لها، لأنّه من الأمور الطبيعيّة أنّ المرأة أثناء الحمل تحسّ بالتعب وعند الولادة طبيعي أن تكون هناك أوجاع، وكذلك مسألة اشتياق المرأة لزوجها، فهذا أمر طبيعي أيضا، أما فيما يخصّ سيادة الرجل على المرأة يرى وليم مارش: "أنّ هذا العقاب بلغ مبلغاً عظيماً بين الوثنيّين فإنّ المرأة عندهم هبطت إلى أدنى دركات الذلّ .ولم تكن قليلة الذل عند اليهود وإن لم تهبط عندهم هبوطها عند الوثنيّين،

---

[21]- **هذه عقائدنا**، ج.كلايد تارنر، موقع الخدمة العربيّة للكرازة بالإنجيل، ص 47

[22]- القس جيمس أنس، **علم اللاهوت النظامي**، راجعه ونقحه وأضاف إليه القس منيس عبد النور، الناشر الكنيسة الإنجيلية مصر، ص ص 181-182

[23]- http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/01-Sefr-El-Takween/Tafseer-Sefr-El-Takwin__01-Chapter-03.html

[24]- **سفر التكوين** 16/3

فإنّ الرجل اليهودي كان يشتري المرأة من أبيها ويجعلها رهن إرادته في كل شيء. والمسيح ألغى هذا العقاب كلّه. فالمرأة المسيحيّة كالرجل في الإنسانيّة والكرامة"[25]. والحقّ أنّ المرأة في المسيحيّة لا يزال الرجل متسلّطا عليها، قال بولس في رسالته الأولى إلى كورنثوس "وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُلٍ هُوَ الْمَسِيحُ. وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ. وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللهُ.... الرَّجُلَ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُغَطِّيَ رَأْسَهُ لِكَوْنِهِ صُورَةَ اللهِ وَمَجْدَهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ، فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ. لأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنَ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ. وَلأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَجْلِ الرَّجُلِ"[26]. ويقول- بولس- في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس: "وَلكِنْ لَسْتُ آذَنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلاَ تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ، 13 لأَنَّ آدَمَ جُبِلَ أَوَّلاً ثُمَّ حَوَّاءُ، 14 وَآدَمُ لَمْ يُغْوَ، لكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي"[27]. يظهر من هذه النصوص أنّ المرأة في المسيحيّة أصبحت أدنى مرتبة من الرجل خلافا لما قال وليم مارش.

ج- عقوبة آدم

"وَقَالَ لِآدَمَ: «لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. 18وَشَوْكاً وَحَسَكاً تُنْبِتُ لَكَ وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. 19بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزاً حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ".[28]

إنّ لعن الأرض ليس عدلا فما دور الأرض في عمليّة الخطيئة؟ فهي في الحقيقة لا علاقة لها بالحدث. ثم قوله "بالتعب تأكل منها وأنّها تنبت الشوك والحسك، وأنّ آدم يأكل من الحقل بعرق جبينه حتى يعود إلى التراب" يفضي إلى طرح السؤال على المسيحيّين: إذا كان المسيح سيسحق رأس الحيّة بصلبه، وأنّه يساوي بين المرأة والرجل- رغم أنّ ذلك لم يحصل- فلماذا لا تقولون هنا أيضا إنّ المسيح بصلبه سينقذ الإنسان من التعب وإنّه يعيش في رغد وترف؟. فاليوم نرى أنّ الإنسان إذا لم يبذل جهدا فلن يجد قوت يومه، وبالتالي فمسألة الأكل من عرق الجبين تبقى من الأمور الطبيعيّة في هذه الحياة.

بعد العقوبات نجد الله لم يطردهما من الجنّة مباشرة، وإنّما صنع لهما أقمصة من جلد وألبسهما. يقول النص: "وصَنَعَ الرَّبُّ الإِلَهُ لِآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا"[29]، وهنا يختلف المسيحيّون حول مصدر

[25]- **السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين**، مرجع سابق، ص 40

[26]- **رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس** 11/3-9

[27]- **رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس** 2/12-14

[28]- **سفر التكوين** 3/14-20

[29]- **سفر التكوين** 3/24

الجلد، فجرجس يقول: "يرجّح أنّ هذا الجلد كان من جلود الحيوانات التي كان آدم يقدّمها كذبائح شكر وتقدمات سرور لله"[30]. أما وليم مارش فيرى غير هذا إذ يقول: "ولم يكن من ذبيحة قبل أن تدخل الخطيئة الأرض".[31] أمّا يعقوب ملطي فقد فسّر النصّ تفسيرا تعسّفيّا بعيدا عن السياق بقوله: "إذ صنع الله للإنسان قميصًا من جلد وألبسه، معلنًا رعايته الفائقة له خلال ذبيحة الصليب وستره لا بجلد حيوانات ميتة، وإنّما بالرب يسوع نفسه واهب الحياة، الذي يخفيه داخله ويستر عليه".[32]

على الرغم من هذا التعسّف في التعامل مع النصّ فهو –النصّ- يقرّ بأنّ يهوه صنع لآدم وحواء ألبسة من جلد الحيوان. ويرى ليوتاكسيل أنّ "يهوه كان أوّل من قاتل الحيوانات".[33]

بقي الجزء الأخير من نصّ الخطيئة، وهو كالتالي: "وَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ: «هُوَ ذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفاً الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضاً وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ». 23 فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلَهُ مِنْ جنّة عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا. 24فَطَرَدَ الإِنْسَانَ وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جنّة عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ.[34]

وتعليقا على هذا النصّ أقول: إنّ الإله يهوه يعدّ إلها جاهلا وذلك لأنّ الحيّة هي من قالت لحواء: يوم تأكلان منها تصيران مثل الله (الآلهة – الملائكة) عارفيْن الخير والشر -أمّا يهوه قال وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ فخصّ الوصيّة بآدم فقط - وبعد الأكل طبعا لم يحصل ذلك -أي معرفة الخير والشر- إذا لمّا أكلا وجدا نفسيهما عريانين لا غير ولا وجود لمعرفة الخير أو الشرّ، وبالتالي فقول يهوه: هُوَ ذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفاً الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، هو قول لا معنى له وحذفه – من النصّ- يكون أحسن وذلك لانعدام معرفة الخير والشر من قبل آدم وحواء جراء الأكل من الشجرة.

ثم يلاحظ أيضا أنّ الإله يهوه في البداية نهى آدم عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشرّ فقط، وإن غير ذلك فله أن يأكل، وهذا ما يذكر نص سفر التكوين وهو كالتالي: "وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجنّة تَأْكُلُ أَكْلاً 17وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ"[35]، إلاّ

[30]- **تفسير سفر التكوين**، مرجع سابق، ص 110

[31]- **السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين**، مرجع سابق، ص 42

[32]- http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/01-Sefr-El-Takween/Tafseer-Sefr-El-Takwin__01-Chapter-02.html

[33]- **التوراة كتاب مقدّس أم جمع من الأساطير؟** ليوتاكسيل، ترجمة د. حسّان ميخائيل اسحق، ص 37

[34]- **سفر التكوين** 3/22-24

[35]- **سفر التكوين** 2/16-17

أنّ هذا الإله يهوه يبدو جاهلا أو مصابا بالنسيان؛ فكيف يُعقل أن ينهى آدم عن شجرة واحدة وهي شجرة معرفة الخير والشر، ثم يأتي فيقول: وَالْآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضاً وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ؟. فلنفترض أنّه لو أكل آدم من شجرة الحياة التي تمنحه الخلد التي لم يكن يهوه أوصاه في البداية بعدم الأكل منها، فإنّ يهوه سيجد نفسه في ورطة، فلن يستطيع مواجهة آدم لأنّه سيصبح خالدا مثله.

الطرد من الجنّة: قام يهوه بطرد آدم من الجنّة وأقام كروبيم ليحرس شجرة الحياة، يقول النصّ: "فَطَرَدَ الإِنْسَانَ وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جنّة عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ"[36]. وهنا يقال للمسيحيّين: إذا كانت شجرة الحياة هي السبب في طرد آدم فكان على يهوه أن يقوم بإزالتها من الوجود لأنّه هو خالقها فبكلمة كن سيقضي عليها. لا أن يكلّف هذا المخلوق السماوي بحراستها. بل فما الفائدة من خلقها أصلا ما دامت تسبب المشاكل له، ولعلّ هذا الأمر يظهر نوعا من العبثيّة عند هذا الإله.

هذه إذن خطيئة آدم وحواء حسب سفر التكوين وقد قمت بدراستها منطلقا من التصوّر المسيحي لها وفي الوقت نفسه ناقشت ذلك بأدلّة علميّة انطلاقا من كتبهم لأخلص في النهاية إلى أنّ هذه القصة غير مبنيّة بناء متناسقا الأمر الذي جعل المفسّرين المسيحيّين لها يختلفون في تفسير أغلب فقرات نصّها، ناهيك عن ورود فقرات من النصّ في بعض الترجمات مختلفا عمّا هو متداول اليوم.

علاقة الجنس البشري بالخطيئة:

يعتقد المسيحيون أنّ الخطيئة انتقلت إلى الجنس البشري، فأصبح الجميع وارثا الخطيئة. يقول الأنبا بيشوي: "لقد خلقت خطية آدم حالة خطية أعطيت لكلّ فرد من أفراد الجنس البشري المتناسل منه"[37]. يقول كذلك الأنبا دوماديوس تحت عنوان علاقتنا بخطيئة آدم: "بسبب خطيئة آدم ورثنا الطبيعة البشريّة الفاسدة بالخطيئة لأنّه – آدم- رأس الخليقة".[38]

وللردّ على هذه الاعتقاد يمكن القول إنّه لم يرد على لسان آدم في سفر التكوين أنّ خطيئته سيرثها الجنس البشري، والإله يهوه الذي عاقب آدم وحواء والحيّة لم يقل لآدم إنّ خطيئتك ستنتقل إلى البشرية بل عاقبه

---

[36]- **سفر التكوين** 24/3

[37]- القس بيشوي حلمي، **عقائدنا المسيحيّة الأرثوذكسيّة**، مراجعة وتقديم الأحبار الأجلاء: نيافة الأنبا بيشوي، نيافة الأنبا موسى، نيافة الأنبا متاؤس، دار نوبار للطباعة، ط1، 2007، ص 200

[38]- **مبادئ العقائد المسيحيّة أصالتها وفعاليتها**، مطرانيّة الأقباط الأرثوذكس، مراجعة وتقديم الأحبار الأجلاء: نيافة الأنبا دوماديوس، نيافة الأنبا موسى الأسقف العام، ص 26

وأخرجه من الجنّة فقط، وبالتالي لو كانت فعلا الخطيئة ستشمل جميع البشر، فإنّ يهوه سيصدر حكم ذلك إبّان عقاب آدم وحواء والحيّة.

بل توجد نصوص تؤكد أنّ كل من يرتكب خطأ فهو ملزِم له لا يتعدّاه إلى الغير ومن هذه النصوص أذكر:

نصوص العهد القديم:

- سفر التثنية: "لا يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلادِ وَلا يُقْتَلُ الأَوْلادُ عَنِ الآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيَّتِهِ يُقْتَلُ".[39]

- سفر إرميا: "كُلُّ واحدٍ بِخطيئَتِهِ يموتُ".[40]

- سفر حزقيال: "اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. الاِبْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الاِبْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ".[41]

نصوص العهد الجديد:

- متى: "واَغفِرْ لنا ذُنوبَنا كما غَفَرنا نَحنُ لِلمُذنِبينَ إلَينا،.. فإنْ كُنتُم تَغفِرونَ لِلنّاسِ زَلاّتِهِم، يَغفِرْ لكُم أبوكُمُ السَّماويُّ زلاّتِكُم. 15 وإنْ كُنتُم لا تَغفِرونَ لِلنّاسِ زلاّتِهِم، لا يَغفِرُ لكُم أبوكُمُ السَّماويُّ زلاّتِكُم".[42]

- متّى: "فاَذهَبوا وتَعلَّموا مَعنى هذِهِ الآيةِ: أُريدُ رَحمةً لا ذبيحةً. وما جِئتُ لأدعُوَ الصّالحينَ، بَلِ الخاطِئينَ".[43]

متّى: "وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟» 17فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا». 18قَالَ لَهُ: «أَيَّةَ الْوَصَايَا؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. 19أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ".[44]

[39]- **سفر التثنية** 16/24

[40]- **سفر إرميا** 30/31

[41]- **سفر حزقيال** 20/18

[42]- **متى** 12/6، 15

[43]- **متى** 13/9

[44]- **متى** /16-19

- رومية: "سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ".[45]

- بطرس: "لأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللَّهُ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى مَلاَئِكَةٍ قَدْ أَخْطَأُوا، بَلْ فِي سَلاَسِلِ الظَّلاَمِ طَرَحَهُمْ فِي جَهَنَّمَ، وَسَلَّمَهُمْ مَحْرُوسِينَ لِلْقَضَاءِ،5وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى الْعَالَمِ الْقَدِيمِ، بَلْ إِنَّمَا حَفِظَ نُوحاً ثَامِناً كَارِزاً لِلْبِرِّ إِذْ جَلَبَ طُوفَاناً عَلَى عَالَمِ الْفُجَّارِ.6وَإِذْ رَمَّدَ مَدِينَتَيْ سَدُومَ وَعَمُورَةَ حَكَمَ عَلَيْهِمَا بِالاِنْقِلاَبِ، وَاضِعاً عِبْرَةً لِلْعَتِيدِينَ أَنْ يَفْجُرُوا، 7وَأَنْقَذَ لُوطاً الْبَارَّ مَغْلُوباً مِنْ سِيرَةِ الأَرْدِيَاءِ فِي الدَّعَارَةِ".[46]

هذه النصوص تؤكّد صراحة أنّ كل من يرتكب خطأ فإنّ العقاب سيناله هو نفسه ولا صلة للآخرين بذنبه، فلا الأب يحمل ذنب الابن ولا الابن يحمل إثم الأب بل كلّ واحد يتحمّل عواقب ما اقترف من خطايا.

الخطيئة في التصوّر الإسلامي:

لقد تعرّض القرآن الكريم لموضوع خطيئة آدم وحواء في ثلاث سور وهي سورة البقرة والأعراف وطه. وبيان ذلك على النحو التالي:

يقول الله جل جلاله في سورة البقرة: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجنّة وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إِلى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ).[47]

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "والأمر في اسكن أمر إعطاء أي جعل الله آدم هو وزوجه في الجنّة، والسكنى اتّخاذ المكان مقرّا لغالب أحوال الإنسان"[48]. ثم يضيف قائلا: "ومعنى الأكل من الجنّة من ثمرها لأنّ الجنّة تستلزم ثمارا وهي ممّا يقصد بالأكل... والرغد وصف لموصوف دلّ عليه السياق أي أكلا رغدا، والرغد الهنيء الذي لا عناء فيه ولا تقتير. وقوله: حيث شئتما ظرف مكان أي من أيّ مواضع أردتما الأكل منها، ولما كانت مشيئتهما لا تنحصر بمواضع استفيد العموم في الإذن بطريق اللزوم، وفي جعل الأكل من الثمر من أحوال آدم وزوجه بين إنشائها تنبيه على أنّ الله جعل الاقتيات جبلّة للإنسان لا تدوم حياته إلاّ به. وقوله: ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين يعني به ولا تأكلا من الشجرة لأنّ قربانها إنّما هو لقصد الأكل منها

45- **الرسالة إلى أهل رومية** 6/2

46- **رسالة بطرس الثانية** 2/4-7

47- سورة البقرة، الآية 34-36

48- محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير، الناشر**، الدار التونسية للنشر – تونس، ط1984، ج1، ص ص 429-430

فالنهي عن القربان أبلغ من النهي عن الأكل"[49]. فالنهي هنا وجّهه الله لآدم وحواء وليس كما في سفر التكوين إذ وصّى الله آدم دون حواء كما أنّه سبحانه لم يسمّ لهما الشجرة كما في سفر التكوين بأنّها شجرة معرفة الخير والشرّ.

ويفسّر الشيخ الشعراوي زلل الشيطان لهما- لآدم وحواء – بقوله: "فَأَزَلَّهُمَا الشيطان عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ. من ماذا أخرجهما؟ من العيش الرغيد. واسع النعمة في الجنّة. ومن الهدوء والاطمئنان في أنّ رزقهما يأتيهما بلا تعب"[50]. القرآن هنا يتحدث عن الشيطان بعبارة صريحة بخلاف التوراة التي أوردت بأنّ السبب هو الحيّة، إضافة إلى تضارب تفاسيرهم للنصّ التوراتي.

يضيف الشيخ الشعراوي في تفسيره للآية قائلا: "الهبوط هو بداية نزول الإنسان إلى الأرض ليباشر مهمّته في الدنيا. ومادام الحق سبحانه وتعالى قال: وَلَكُمْ فِي الأرض مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إلى حِينٍ. فهي إذن حياة موقوتة على قدر وقتها، وعلى قدر حجمها. والذين يقولون بأنّه لابدّ من وجود بشر نسميه مخَلِّصا. ليفدي العالم بصلبه أو بغير ذلك من الخطيئة التي ارتكبها آدم. نقول له: إنّك لم تفهم عن الله شيئا، لأنّ القصة هي هنا خطأ قد حدث وصُوب. وفرق بين الخطأ والخطيئة. فالخطأ يصوّب. ولكنّ الخطيئة يعاقب عليها. وآدم أخطأ وصوب الله له. وتلقّى من ربّه كلمات فتاب عليه. إذن لا توجد خطيئة بعد أن علمه الله التوبة وتاب إلى الله. ثمّ ماذا فعل آدم. حتى نقول نخلّص العالم من خطيئة آدم. إنّه أكل من الشجرة. وهل خطايا العالم كلّها أكل؟".[51]

فآدم وحواء عاقبهما الله إذ أخرجهما من الجنّة، كما أنّ التوبة حاصلة وعليه فلا معنى للقول إنّ خطيئة آدم اجتاحت العالم. وبهذا أنتقل إلى سورة الأعرف سورة طه.

يقول الله في سورة الأعراف: (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجنّة فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (18) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (19) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (20) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجنّة وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (21) قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا

[49]- نفسه، ج1، ص ص 431-432

[50]- متولي محمّد الشعراوي، **الخواطر**، الناشر مطابع أخبار اليوم، ج1، ص 266

[51]- نفسه، ج1، ص 269

وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (22) قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (23) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ).[52]

لن أعرض لتفسير الآيات كلّها، فقد تقدّم ذلك في تفسير آيات سورة البقرة، وإنّما أقتصر على بعض ما أضافته سورة الأعراف، يقول الشيخ الشعراوي: "وهل وسوس الشيطان لهما ليبدي لهما ما ووري من سوءاتهما، أو وسوس ليعصيا الله؟. لقد وسوس ليعصيا الله، وكان يعلم أنّ هناك عقوبة على المعصية، ويعلم أنّهما حين يأكلان من الشيء الذي حرّمه ربّنا ستظهر سوءاتهما، و«السوءة» هي ما يسوء النظر إليه، ونطلقها على العورة، والفطرة تستنكف أن يرى الإنسان المكتمل الإنسانيّة السوءة. وكأنّهما في البداية لم ير أحدهما سوءة الآخر أو سوءة نفسه لأنّ الحق يقول: لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا. والسوءات أربع: اثنتان للرجل واثنتان للمرأة، فكأنّ كل إنسان منهما لا يرى سوءتيه، وكذلك لا يرى سوءتي الآخر، لأنّ السوءات كلّها لها ما يخفيها عن الرؤية، وهذا كلام معقول جدّاً".[53]

ثم بيّن القرآن أنّه لما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: "وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة حكاية لابتداء عمل الإنسان لستر نقائصه، وتحيله على تجنّب ما يكرهه، وعلى تحسين حاله بحسب ما يخيّل إليه خياله، وهذا أوّل مظهر من مظاهر الحضارة أنشأه الله في عقلي أصلي البشر، فإنّهما لمّا شعرا بسوآتهما بكلا المعنيين، عرفا بعض جزئياتها، وهي العورة وحدث في نفوسهما الشعور بقبح بروزها، فشرعا يخفيانها عن أنظارهما استبشاعا وكراهية، وإذ قد شعرا بذلك بالإلهام الفطري، حيث لا ملقّن يلقّنهما ذلك، ولا تعليم يعلّمهما، تقرّر في نفوس الناس أنّ كشف العورة قبيح في الفطرة، وأنّ سترها متعيّن.[54]

يؤكّد القرآن الكريم أنّه فعلا انكشفت سوءات آدم وحواء -ولم يقل انفتحت أعينهما كما سبق لي بيان ذلك في سفر التكوين- وعليه يكون القرآن أبلغ في التعبير عن القصة دون مراوغة وتناقض مقارنة مع القصة في سفر التكوين.

وبخصوص ظهور سوءاتهما لهما لا يعني أنّهما كانا لا يبصران، يقول الشيخ رشيد رضا: "أي فلمّا ذاقا ثمرة الشجرة ظهرت لكلّ منهما سوءته وسوءة صاحبه وكانت مواراة عنهما، قيل: بلباس من الظفر كان يسترهما فسقط عنهما، وبقيت له بقيّة في رؤوس أصابعهما، قيل: بلباس مجهول كان الله تعالى ألبسهما إياه، وقيل: بنور كان يحجبهما، ولا دليل على شيء من ذلك، ولم يصح به أثر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم

[52]- سورة الأعراف، الأيات 18-24

[53]- **تفسير الشعراوي – الخواطر**، مرجع سابق، ج7، ص 4082

[54]- **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج8، ص 64

والأقرب عندي أنّ معنى ظهورها لهما أنّ شهوة التناسل دبّت فيهما بتأثير الأكل من الشجرة، فنبّهتهما إلى ما كان خفيّا عنهما من أمرها، فخجلا من ظهورها، وشعرا بالحاجة إلى سترها، وشرعا يخصفان أي يلزقان أو يضعان ويربطان على أبدانهما من ورق أشجار الجنّة العريض ما يسترها.[55]

بقيت إذن سورة طه التي يقول فيها الحقّ جلّ شأنه: (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلى (117) فَأَكَلا مِنْها فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى (118) ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَهَدى (119) قالَ اهْبِطا مِنْها جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ).[56]

يفسّر الشيخ الشعراوي بداية الآية بالقول: "ونعجب لإبليس: ما دُمْت تعرف شجرة الخُلْد والمُلْك الذي لا يبلى، لماذا لم تأكل أنت منها وتحوز هذه الميزة؟"[57]، وبعد السقوط في المعصية طفقا يخصفان من ورق الجنّة لستر العورة، لكن رغم المعصية تاب الله عليه والتوبة تشمل حواء كذلك وهذا ما يتضح من خلال قوله اهبطا، فالمأمور بالهبوط من الجنّة آدم وإبليس وأمّا حواء فتبع لزوجها. والخطاب في قوله بعضكم خطاب لآدم وإبليس. وخوطبا بضمير الجمع لأنّه أريد عداوة نسليهما، فإنّهما أصلان لنوعين نوع الإنسان ونوع الشيطان.[58]

وتجدر الإشارة هنا إلى نقطة جدّ مهمة، وهي المتعلقة بشجرة الخلد ففي سفر التكوين الإله يهوه هو من خاف أكل آدم وحواء من شجرة الحياة التي تمنح الخلود، وكلّف الكروبيم لحراستها بمعنى لو أكل آدم وحواء منها سينالان الخلود. أمّا في القرآن الكريم، فنجد الشيطان هو من وسوس لآدم كي يدلّه على شجرة الخلد لكن لمّا أكلا بدت سوءاتها فقط ولا وجود للخلود. وهذا دليل قوي أنّ القصة في القرآن الكريم ذات تناسق بليغ، في حين نجد النصّ التوراتي مضطربا في تناوله للقصة كما سبق لي أن ناقشت ذلك بأدّلة من مراجعهم.

خاتمة:

أخلص إذن إلى أنّ الشيطان – وليس الحيّة- قد وسوس لآدم وحواء، وقد سقطا في المعصية، فبدت سوءاتهما وهذا يدل على أنّ السوءة كانت مستورة، لا أنّهما كانا أعمييْن، كما أنّه ليس هناك أي تجسيد لله في النصّ القرآني مقارنة مع سفر التكوين الذي يذكر أنّ الإله يهوه كان يتمشّى في الجنّة، ثمّ إنّ الحقّ سبحانه وتعالى تاب عليهما وانتهى الأمر وليس هناك حديث لا تصريحا ولا تلميحا أنّ خطيئتهما ستنتقل إلى البشريّة،

[55]- محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، ط1984، ج8، ص 311

[56]- سورة طه، الآيات 117-119

[57]- **تفسير الشعراوي – الخواطر**، ج15، ص 9430

[58]- **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج16، ص 328

بل هناك آية قرآنيّة صريحة يؤكّد فيها الخالق سبحانه أنّ كلّ واحد يتحمّل وزره. يقول جل جلاله في سورة الإسراء: (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى).[59]

[59]- سورة الإسراء، الآية 15

لائحة المصادر والمراجع:

*** المصادر:**

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

- الكتب المقدّسة، طبعة روما 1671

- الكتب المقدّسة، طبعة نيوكاسل بإنكلترا سنة 1811

- الكتاب المقدّس، طبعة رجارد واطس لندن، 1826

- الكتاب المقدّس – الترجمة اليسوعية- دار المشرق بيروت لبنان، ط3، 1988

- العهد القديم العبري: ترجمة بين السطور عبري عربي: الأبوان بولس الفغالي وأنطوان عوكر، الجامعة الأنطونية ط1، 2007

*** المراجع:**

- القس بيشوي حلمي، عقائدنا المسيحيّة الأرثوذكسيّة، مراجعة وتقديم الأحبار الأجلاء: نيافة الأنبا بيشوي، نيافة الأنبا موسى، نيافة الأنبا متاؤس، دار نوبار للطباعة، ط1، 2007

- ج.كلايد تارنر، هذه عقائدنا، موقع الخدمة العربيّة للكرازة بالإنجيل.

- القس جيمس أنس، علم اللاهوت النظامي، راجعه ونقحه وأضاف إليه القس منيس عبد النور، الناشر الكنيسة الإنجيلية مصر.

- علاء الدين الباجي، على التوراة، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار الأنصار للطباعة والنشر مصر، ط1، 1980

- ليوتاكسيل، التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير؟ ترجمة د. حسّان مخائيل اسحق.

- مبادئ العقائد المسيحيّة أصالتها وفعاليتها، مطرانية الأقباط الأرثوذكس، مراجعة وتقديم الأحبار الأجلاء: نيافة الأنبا دوماديوس، نيافة الأنبا موسى الأسقف العام.

- متولّي محمد الشعراوي، الخواطر، الناشر مطابع أخبار اليوم.

- محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، ط1984

- محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1990

- الموسوعة الكنسيّة لتفسير العهد القديم، سفر التكوين، إعداد كهنة وخدام كنيسة ما مرقص بمصر الجديدة، الناشر: كنيسة مار مرقص القبطية الأرثوذكسية بمصر الجديدة، ط1، مارس 2006

- نجيب جرجس، تفسير سفر التكوين.

- القس وليم مارش، السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، شرح سفر التكوين، صدر عن مجمع كنائس الشرق الأدنى بيروت 1973

المواقع الإلكترونية:

- http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/01-Sefr-El-Takween/Tafseer-Sefr-El-Takwin__01-Chapter-03.html

- http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/01-Sefr-El-Takween/Tafseer-Sefr-El-Takwin__01-Chapter-02.html


MominounWithoutBorders


@ Mominoun_sm


Mominoun

الرباط – المملكة المغربية
ص.ب : 10569
هـاتـف: 00212537779954
فاكس: 00212537778827
info@mominoun.com
www.mominoun.com